على هامش معالم التقريب

الكراهية والمحبة نقيضان لا يجتمعان *

فى كتابه الرائع : " معالم التقريب "، يشير أستاذنا الجليل محمد عبدالله محمد، المحامى الفقيه المفكر الشاعر الأديب، إلى أنه يلزم أن يلتفت أهل التقريب خاصة - إلى ما أطلق عليه : " مثالية الكراهية " .. فإنها على سلبيتها، مثالية سقم ومرض يشتبه أمرها بالمثاليات الصحيحة أو الصحية - فى بعض المظاهر والطواهر، ولكنها تختلف عنها وتعارضها، بل وتعاديها فى الجوهر .

فلماذا يلزم الالتفات إليها إذن ؟! تعرف الحواب حين تتأمل حال المرض، فالداء لا يغسل يد المبتلى به ولا أيدى المهتمين بشأنه من واجب الالتفات إليه لتحليله ودراسته وتشخيصه وعلاجه . وعلى ذات الوتيرة فإن نقطة البداية فى أمر " الكراهية " ـ هى الإقرار بأنها آفة من آفات العصور المادية، توالدت وظلت تتوالد باستمرار من تراكم المشاكل العاطفية والمادية وغلبة استعصائها على الحل، وتفشى اليأس فى نفوس الناس من إمكانية انتزاعها، ومن قدرة الأنظمة ذاتها بكل إمكانياتها على حلها، ومن ثم انقطاع رجاء غالبية الناس فى تحسين أحوالهم تبعا لذلك، واعتيادهم أمام الإحساس بالاختناق والعجز - على توزيع الاتهامات من بعضهم على بعض، وتوجيه المسئوليات واللعنات من بعضهم لبعض، واعتيادهم تبشيع بعضهم لبعض من جراء هذا كله !

---

* المال ٢٠١٠/٩/٢١

ومن هنا فإن " مثالية الكراهية " ـ حسب التعبير المجازى الذى اخترناه ـ واقع حاصل، لها ألوان وصور تجمعت بالتراكم مما يمكن أن نسميه " عبادة " الإنسان اليائس المهزوم الحائر، لا يرى أمامه سوى أن يتعبد بهذه العبادة إلى ذاته ومصيره، ولكنه تعبد ليس كالتعبد الذى نعرفه لرب العالمين، وإنما هو تعبد يحد طقوسه فى العداوة وما تفرزه، لا يجد اليائس القانط المحبط ـ لا يجد لها بديلا لأن المصاب أمرضه حتى فقد مقدرته على عبادة ربه عز وجل بالمحبة، لذلك تجتمع " مثاليات " الكراهية على صناعة الكراهية وإفراز الكره وتمجيده وكل ما يتصل بهذا الكره من المشاعر .. كالقسوة وعدم المبالاة وسوء الظن والغضب والخصام، واللدّد والعناد والحقد والضغن والتشفى والشماتة والالتذاذ بألم الغير وبالتدمير، وتجتمع ـ فى المقابل ـ على ازدراء الرحمة وحسن الظن والمودة والمسالمة والتفاهم والإنصاف والاعتراف بحقوق الغير واحترام الحقيقة والحق، وفى تصاعيف وتلافيف هذه الآفات المرضية ـ شغف عميق هائل بتحدى الشرائع والقوانين والأخلاق والعادات، والاستهانة بحاضر بل بحضارة البشر، بل بالفطرة البشرية نفسها، وهذه كلها لا تعيش إلا على " عداوة " وعلى " عدو " تتغذى وتتربى على عداوتها له، وتفرز وتكرس وتنمى هذه العداوة وتقويها باطراد، وتجهد نفسها فى بحث ودرس وإعداد وترتيب كيفيات وأساليب وطرائق إيذاء هذا العدو أو تدميره إن أمكن !

والغريب أن هذه " المثالية " فى الكراهية، لا تخاصم ولا تنكر بل تشارك غيرها من المثاليات الصحيحة أو الصحية، وهذا موطن خطورتها على الدعوات الدينية ومنها الدعوة الإسلامية .. ذلك أن المتعلقين بهذه " الكراهية " المتحمسين لها، يبذلون فيها ومن أجلها كل ما يستطيعون، ويقدمون ـ هذه الكراهية ! ـ على الأهل

والأصدقاء وعامة الناس، وعلى مصالح المجموع، ويصبرون فى سبيلها - أو على مذبحها - صبرا غريبا على الصعاب والشدائد، بل يسترخصون من أجلها الحياة، ولا يبالون بالموت فى عمليات انتحارية يسوغون لأنفسهم أسبابها، ويعتقدون أنهم بذلك الفداء - الزائف ! - يجذبون الأنظار إلى استبسالهم وتضحياتهم، ويحملون الناس بذلك على احترامهم واحترام دعاواهم !!

ذلك أنه قد ضعف التفات معظم الناس إلى أن البسالة يجب أن تستمد قيمتها من موضوعها وغايتها، ومع فتور أو ضعف هذا الالتفات، شاع فى نفوس الكثيرين ربط مجرد الإصرار والاستبسال - بالصدق والحق، مع أن الصدق والحق أبعد ما يكونان عن اندفاعات ضريرة تتسمى بالإصرار أو الشجاعة أو البسالة، وبرغم أن البسالة ليست محض مخاطرة، وإنما هى قيمة من قيم الفروسية وقوامها باقة من الشمائل والسجايا لا تستقيم مع الكراهية ولا تستقيم الكراهية معها !!

وغنى عن البيان، وهذا هو سبب لزوم لفت أنظار أهل التقريب إلى " مثالية " الكراهية - غنى عن البيان أن الإسلام قوامه المحبة، وأن المحبة والكراهية نقيضان لا يتفقان، ومن المحال أن يوجد بينهما اشتراك أو أى نوع من أنواع المشاركة - فى باحة الإسلام، أو أن يحدث بينهما - وهما نقيضان - أى التقاء . فالإسلام محبة كاملة لله وفى الله، واستسلام كامل تام شامل للمحبوب الأوحد عز وجل، ومحبة خالصة للخلق من أجل هذه المحبة لله الودود الرءوف الرحمن الرحيم .. الإسلام وفاء لله ولعباد الله، وحسن ظن بالخلق، وإيثار للمحبة والصدق والرحمة والإنصاف وصلة للرحم والجوار، أو هو إن شئت : رعاية للحقوق وأداء الأمانات - وسلام وسلامة ومسالمة من المسلم للناس أجمعين .